منهج الشيخ ابن عثيمين
في
شرح الأربعين النووية

إعداد
د. عبدالله بن حمد اللحيدان
الأستاذ المشارك بقسم السُنَّة وعلومها
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

بحث محكم مقدم لـ:
ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين... وبعد:

فإن من نعم الله جلَّ وعلا على هذه الأمة، أن هيأ لها علماء أتقياء أوفياء، في كل عصر ومصر، يسترشدون بالعلم ويرشدون به غيرهم، يتعلمونه من علمائهم ومشايخهم، وينقلونه إلى من بعدهم بأمانة وصدق وإخلاص، يحفظون العلم ـ بإذن الله ـ من الانحراف والضلال، من البدع والخرافات. من الزيغ عن المنهج الرباني.

ولقد هيأ الله للعلم والمعرفة في هذا العصر، سماحة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، فما من علم من العلوم الشرعية، أو الأدبية، أو اللغوية، أو التاريخية إلاَّ وله باع طويل فيه تنقيباً ودراسة، واستنتاجاً وشرحاً.

ولقد حباه الله سلامة في الأسلوب، وجودة في التعبير، ودقة في المحاورة والمناقشة بأسلوب عصري، يفهمه العامة والخاصة، يعتمد على الدليل في جل أقواله رحمه الله. ولذا ينبغي أن يُهْتم بكتبه ومدوناته، والتي هي أكثر من أن تُحصى.

وإن من العلوم التي اهتم بها رحمه الله علم الحديث جمعاً، ودراسةً واستنتاجاً وتخريجاً وشرحاً وفقهاً، فأردتُ أن أبرز منهجه في شرحه للأحاديث.

ولقد فتشتُ في عدد من مؤلفاته لشروح الأحاديث لاستنتاج منهجه، واستظهار طريقته، فوجدتُ أنها ما بين طويل يصعب الخوض فيه، والتنقيب عمَّا فيه من فوائد لطوله، وما بين كتب لم تكتمل بعد طباعتها، وما بين رسائل صغيرة لا تفي بالمطلوب.

فوقع نظري على شرحه لكتاب الأربعين النووية، ونظراً لتوسطه بين المطولات،

والمختصرات، رغبت أن أستظهر منهجه في شرحه للأحاديث من خلال هذا الكتاب، والتمعن في أسلوبه، وطريقة عرضه للمسائل الفقهية والعقدية واللغوية والأدبية على أن الكتاب سبق شرحه من أربعة أئمة كبار، هم: ابن دقيق العيد(١)، وابن رجب الحنبلي(٢)، وابن حجر الهيتمي(٣)، والمدابغي(٤).

* **ولقد تميز شرح شيخنا لكتاب «الأربعون النووية» بما يأتي:**

أولاً: أن الشرح يعتبر مختصراً مقارنةً بالشروح الأخرى، مما يحقق أكبر الفائدة لدى العامة.

ثانياً: ركَّز رحمه الله على الشرح للمتون، واختصر الكلام في علل الأحاديث، أو ذكر طرقها وتخريجها، فلم يتعرض إلاَّ للقليل منها، على ما سيأتي بيانه في ثنايا البحث، لذا فشرحه يناسب العامة أكثر من المتخصصين في علم الحديث.

ثالثاً: سهولة أسلوبه ومحاكاته في كثير من القضايا للمفهوم المعاصر؛ تقريباً لمفهوم القارئ.

رابعاً: كثرة ضرْبِه للأمثلة من الواقع المعاصر، تقريباً لمفهوم القارئ.

---

(١) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح. من أكابر العلماء بالأصول. وُلِد في ينبع وتعلم بدمشق والاسكندرية والقاهرة. توفي سنة ٧٠٢هـ. له مصنفات كثيرة، منها: إحكام الأحكام، وشرح الأربعين النووية [الدرر الكامنة: ٤/ ٩١].

(٢) هو: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي، أبو الفرج. الحافظ من العلماء الكبار. وُلِد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. له مصنفات كثيرة، منها: جامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف وغيرها [شذرات الذهب: ٦/ ٣٣٩].

(٣) هو: شهاب الدين أحمد بن الحجر المكي الهيتمي. كان من أعظم علماء عصره وفقهاء دهره. تتلمذ على الشيخ زكريا المصري الآخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني. توفي سنة ٩٧٥هـ. له مصنفات منها: الفتح المبين بشرح الأربعين، شرح الشمائل للترمذي، والزواجر عن اقتراف الكبائر وغيرها [أبجد العلوم: ٣/ ١٦٤].

(٤) هو: حسن بن علي بن أحمد بن عبدالله المنطاوي الأزهري الشافعي. توفي بمصر سنة ١١٧٠هـ. له: حاشية على شرح الأربعين لابن حجر، وحاشية على الأشموني [هدية العارفين: ١/ ٢٦٨، ٢٦٩].

التمهيد

أولاً: ترجمة موجزة للإمام النووي

نسبه: هو شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين بن محمد جمعة بن حزام. الفقيه الشافعي، قال الإمام الذهبي: هو الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة [1].

مولده ونشأته: ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقدِمَ دمشق بعد تسع عشرة سنة من عمره في سنة تسع وأربعين. فسكن بالمدرسة الرواحية، فحفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع المهذب حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال إسحاق بن أحمد، ثم حجَّ مع أبيه، وأقام بالمدينة النبوية شهراً ونصفاً ومرض أكثر الطريق [2].

دراسته: قال الإمام الذهبي: ذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار أن الشيخ محي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً: درسين في الوسيط، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جني، ودرساً في إصلاح المنطق، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧٠].

(٢) شذرات الذهب: [٥/ ٣٥٤].

الله تعالى في وقتي، وخطر لي أن أشتغل في الطب، واشتريت كتاب القانون فأظلم قلبي، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال، فأشفقت على نفسي وبعت القانون فأنار قلبي[(١)].

مشايخه: سمع من الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبدالعزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين بن عبد الدائم، وجمال الدين بن الصَّيرفي، وشمس الدين ابن أبي عمر وطبقتهم، وسمع الكتب الستة والمسند والموطأ وشرح السنة للبغوي وسنن الدارقطني، وقرأ الكمال للحافظ عبد الغني علي الزين، وتفقه على الكمال إسحاق المغربي. وقرأ النحو على الشيخ أحمد المصري وغيره، وقرأ على ابن مالك كتاباً من تصنيفه[(٢)].

تلامذته: تخرَّج به جماعة من العلماء، منهم الخطيب صدر الدين الجعفري، وشهاب الدين الأربدي، وشهاب الدين بن جعوان، وعلاء الدين العطار، وحدَّث عنه ابن أبي الفتح، والمزي، وابن العطار، وغيرهم[(٣)].

صفاته وأخلاقه: كان رَحِمَهُ اللهُ على جانب كبير من العلم والعمل والورع والزهد والصبر على خشونة العيش، والمصابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، يتقوَّت من جراية المدرسة الرواحية، ومما يأتيه من بلده من عند أبويه، وكان يتصدق منها أحياناً، وكان كثير السهر في العبادة والتصنيف، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، متابعاً للسلف من أهل السنة والجماعة، وكان كثير التلاوة للقرآن والذِّكر، مُعْرِضاً عن الدنيا، مقبلاً على الآخرة[(٤)].

---

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧٠].

(٢) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧١].

(٣) الأذكار، مقدمة المحقق: [ص: ١١].

(٤) ينظر: شذرات الذهب: [٥/ ٣٥٦].

وفاتـــه: قال الإمام الذهبي رحمه الله: سافر الشيخ فزار بيت المقدس وعاد إلى نوى، فمرِضَ عند والده فحضرته المنية، فانتقل إلى رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة[١].

من تصانيفـه: الأربعون النووية، شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الإرشاد في أصول الحديث، الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات، الأصول والضوابط، بستان العارفين، التبيان في آداب حملة القرآن، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، منهاج الطالبين، الروضة في الفروع، شرح المهذب وهو المجموع، غيث النفع في القراءات السبع، تحفة الطالب النبيه في شرح التنبيه، المبهم على حروف المعجم وغيرها كثير[٢].

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧٣].

(٢) كشف الظنون: [١/ ٩٦، ١١٥، ٢١٠، ٣٤٠، ٢٤٤-٣٤١، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤٦٥، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٥٠، ٥٥٧، ٦٨٨_٦٨٩، ٩٢٩- ٩٣٠، ٩٣٦].



ثانياً: ترجمة موجزة لسماحة شيخنا رحمه الله

نسبه ومولده ونشأته: هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن ابن عثمان الوهبي التميمي. وُلِد في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ. طلب العلم رحمه الله منذ صغره، وظهرت نجابته وملكة حفظه لدى شيخه عبدالرحمن السعدي، فاهتم به وقرَّبه[1].

أمَّا ما يتعلق ببقية ترجمته رحمه الله فسأقتصر على ما أعرفه عنه مباشرة، أو نقل أحد عنه أظن أنه لم يُتعرَّض له من قبل الباحثين. حتى لا يحصل تكرار في الترجمة. ولعلَّ المهتمين بالندوة والقائمين عليها يجمعون شتات ما ذُكِرَ عنه رحمه الله.

مكانته العلمية: كان رحمه الله واسع العلم، كثير المطالعة، بحراً متلاطم الأمواج، ما يدخل في فن ويتكلم فيه إلاَّ وترى أنه تخصصه، كانت ألفاظه درر وعباراته مطر، وأقواله حبات لؤلؤ ينثرها على الأمة عند كلامه. فاز رحمه الله على أقرانه: حدَّثني سماحة والدنا الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، قال: كنا ندرس في الكلية، وكان المتعارف عليه في المستوى الذي يدرس فيه الشيخ محمد ـ أن الذي يأخذ الأول هو أحد الطلاب ـ فلما جاء الشيخ محمد رحمه الله إلى الكلية، تفوَّق على الجميع فأخذ الأول. قال الشيخ: فقلتُ لصاحبنا: ما بالك يا فلان لم تأخذ الأول وأخذه محمد العثيمين؟ فقال لي: محمد العثيمين من حسبة المدرسين لا من حسبة الطلاب، لسعة علمه، وبروزه فيه.

ذهبتُ إلى عدد من البلاد الإسلامية فاستشعرت الاهتمام به عندهم، بأقواله وآرائه رحمه الله والانصياع إليها عند الاختلاف.

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين: [١/ ٩].



كان يعتمد النص في أقواله وفتاويه، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تأثير ظاهر عليه في المناقشة والمحاورة والاستدلال، ولشيخه الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تأثير كبير عليه أيضاً، حيث أن شيخه هو أول من كسر حاجز المتابعة للمذهب، واعتماده على الدليل حتى ولو خالف المذهب. وكذا الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله، فله تأثير عليه.

منهجه رحمه الله الدعوي: كان رحمه الله يدعو دائماً إلى الاعتدال والتوسط، ويحذِّر من الغلو والإفراط فيه. يدعو إلى التأني والتريث والتثبت.

ـ دخلتُ عليه مرة مع أحد الزملاء في مجلسه، ونحن نحمل هماً، وحماساً وصورة قاتمة عن المستقبل، ونحدِّثه عن المخالفات الشرعية في نظرنا، وإذا به الأب الحنون، والمرشد الحكيم، والمربي البارع، بعيد النظر، متأنيًّاً في قبوله للرأي الآخر ومناقشته، متأنيًّاً في التوجيه والنصح والإرشاد. وإذا به رحمه الله يوجهنا، ويرشدنا إلى التأني والتثبُّت، والصبر وسعة الصدر، ويحذِّر من الحماس الزائد والتسرُّع في الأحكام، فإن ذلك مما يسبب الاختلاف والفرقة.

كثيراً ما يحث على طاعة ولاة الأمور ويذكر ما فيها من مصالح، ويحذِّر من مخالفتهم وما تسببه من مفاسد.

مكانته في الكلية: أمَّا عند الطلاب، فحرصهم على التلَّقي عنه ظاهر، وتنافسهم في احتضانه أكثر، كان رحمه الله يخرج من قاعة إلى قاعة لا يرتاح بينهما، والطلاب معه يجيب على أسئلتهم واستفساراتهم. وهذا ديْدَنه طوال محاضراته.

أمَّا عن مكانته في مجلس الكلية، فكان أنموذجاً في المناقشة والمحاورة الهادئة الهادفة، يصغي لآراء الآخرين، ويقبلها إذا كانت إيجابية ولو كانت مخالفة لرأيه. كنا نؤجل الموضوعات المهمة لحين حضوره، فهو كالعلم الذي يرفرف فوق قرارات

الكلية، فلا يعارضه أحد من منسوبي الجامعة.

مكانته في نفوس العامة والخاصة: مَلَكَ رحمه الله قلوب الناس، بما أعطي من علم ثاقب، واطلاع واسع ومناقشة هادئة، وصلاح ظاهر، وأخلاق عالية، فما ذُكِرَ في مجلس إلاَّ وأصْغت المسامع لقوله والحديث عنه، بل والاقتداء به حتى في الأمور العادية.

برز برهان مكانته عندهم يوم وفاته رحمه الله، فما أن علِم الناس بوفاته، حتى اسوَّدَّت الدنيا في وجوه العامة والخاصة، وتنادوا فيما بينهم للذهاب للصلاة عليه في مكة حيث صلى عليه هناك، وقد قابلت عدداً من الناس في الحرم، وأعرف أنه ما جاء بهم إلاَّ الصلاة عليه رحمه الله، وبعد الصلاة عليه، حُمِلَ على الأكتاف إلى المقبرة، فرأيتُ العجب في تزاحم الناس، وامتلأت الشوارع والطرقات، وما وصلنا قرب المقبرة إلاَّ بعد عناء ومشقة، وهناك رأيتُ أعجب مما مضى، فقد صعدتُ على جبل قرب المقبرة، والناس تتزاحم على الصعود، لتراقب من بعيد، فرأينا الناس داخل وخارج أسوار المقبرة، قد ملؤا المواقع القريبة من المقبرة. فتذكرتُ قول أحد السلف: (الموعد يوم المقابر) في مناقشته مع أحد أهل البدع.

زهده وورعه: كان رحمه الله وَرِعاً لا يأخذ إلاَّ ما يراه حقاً ظاهراً له، وأذكر ثلاث قصص تؤكد ذلك:

الأولى: حينما كان رئيساً للقسم، وكنتُ عميداً للكلية، فقد ردَّ المبالغ التي جاءته مكافأةً لرئاسة القسم، بسبب كما يقول أنه لم يقم بالعمل كما يُراد...؟!

الثانية: قابلته في آخر رؤية له رحمه الله في الجامع بعنيزة، كغيري من الناس، وقد اجتمع عليه عدد من الناس ما بين مُسَلِّم، وسائل، وكنتُ أريد السلام فقط بعد رحلته العلاجية. فلما انتهى من صلاته، سلَّمتُ عليه، فرغِبْتُ بالانصراف، فقال لي: انتظر، فانتظرتُ بجانبه حتى انتهى الناس، فأصغى إليَّ قائلاً: أنا آخذ راتب وأنا

لا أشتغل، كما ترى، فهل يحل لي أخذه. فقلتُ: سبحان الله، أولاً: مثلك يُسأل، لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد الاطمئنان. ثانياً: أنت لم تبخل على الناس بوقتك ولا حتى في ظروفك الصحية الصعبة. ثالثاً: النظام يسمح لك بهذا، فراتب التقاعد أولاً، ثم المريض أيضاً يسمح له بذلك، وهذا نظام الدولة وفقهم الله. فقال: جزاك الله خيراً طمأنتني.

الثالثة: حدثني أحد الزملاء، قائلاً: طلب مني الشيخ أن أذهب به من الكلية لداخل بريدة لشراء آلة تصوير، فقلتُ له لمَّا رَكِب معي: أليس معك سيارة وسائق على حساب الدولة، أين السائق؟ فقال: لا، أُعْطِيتُ السيارة لما يخص العمل، فلا يجوز استخدامها في مشاغلي الخاصة.

تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتقليله من مكانته وشأنه: أمَّا تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فظاهر للعيان. سأله أحد الزملاء، وكنا في إحدى الاستراحات، فقال له: تقصير الثوب إلى أنصاف الساقين، ما حكمه؟ فقال: سُنّة. قال له: لَمَ لم تقصر ثوبك لتطبق السنة. فقال لا، أحياناً ينقلب إلى شهرة، فلو أن الشيخ عبدالعزيز بن باز وأمثاله، قصَّر ثوبه فلا يخاف عليه من الشهرة، أمَّا أنا فأخاف من الشهرة تواضعاً عجيباً في إبعاد نفسه من أن يكون قدوة للآخرين.

عدْلُه وإنصافه: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عادلاً منصفاً حتى مع أقربائه وخواصه لا يرغب في تقديمهم على غيرهم، يقدِّم المصلحة العامة على الخاصة، تقدَّم إليه أحد المعيدين المقرَّبين منه، بل ومن طلابه المتميزين راغباً شفاعته بانتقاله من قسم إلى قسم آخر، فقبِلَ شفاعته، وتقدَّم إلينا بذلك، فرَّحبنا بشفاعته، ولكن قلنا: يا شيخ هذا القسم كثيراً ما يرغب عنه الطلاب، والكل يرفضه عند التعيين، وإذا عُيِّنَ فيه حاول الانتقال وهذا طريق إلى إغلاق القسم، أو استمرار التعاقد فيه، والأمر لك: إن شئت قبلنا، وإن شئت رددنا، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، لا، هذا لا يجوز، اتركوه في قسمه.

طلاَّبـه: جلّ الناس في عصره، عِيال عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طلب العلم وتحصيله، فأكثر طلاب العلم الموجودين في المنطقة وغيرها، هم تلاميذه، حتى أقرانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أصغوا إليه، وأخذوا عنه، وتناقلوا أقواله وفتاواه، حضرتُ له بعض الدروس، والمحاضرات والندوات واللقاءات والاجتماعات التي كان لها أثر كبير في النفس، ولو كانت قليلة. رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته.

صفاته الخُلُقية: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَمِث الأخلاق، خفيف النفس، طيِّب القلب، صادق اللهجة، لا يُمل مجلسه العادي لحبه للمزاح ومداعبة الآخرين، فكان يمازح الصغير والكبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة. كنا في إحدى الاستراحات مرة، وكانت ليلة شاتيه، وكان القريبون منه قد ظهر تأثرهم بالبرودة فكان يلتفت إليهم ويقول: هه هي برد. وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروف عنه أنه لا يحس بالبرد، حتى لباسه كان لباساً صيفياً في وسط الشتاء.

صبره وتحملَّه: جلس للتدريس سنوات طويلة لا يحضر درسه إلاَّ العدد القليل، وما عرف علمه، وعلا صيته وارتفعتْ سمعته، وظهرت مكانته إلاَّ في السنوات الأخيرة من عمره، حينما تلاطمت أمواج الفتن، وعصفت البدع بأهل الأرض يمنة ويسرة، وظهرت الفِرق والاختلافات، وحصل التصادم والتناحر. ظهر قوَّاد الحق، ظهر أهل الصدق والإخلاص، ظهر البارزون في علمهم، المخلصون في أعمالهم، الجادون في حياتهم... فكانت له مكانته، ومنزلته العالية عند الخاصة والعامة.

ـ فمواقفه ظاهرة جلية ضد أهل البدع والانحرافات، ضد الغلو والتطرف، ضد كل باغ وباغية. ينشد الحق أيّاً كان موقعه لا يخاف في الله لومة لائم.

ـ كثيراً ما كان يحدِّثنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مواقفه مع بعض المسؤولين، ووعودهم له

وتقديرهم له، ليطمئننا عن الأحوال والأمور.

حِرْص على العطاء والتعليم حتى آخر لحظة من حياته، ففي آخر ليلة من رمضان، كان في المستشفى في جدة، طلب أن يعود إلى مكة لإلقاء بعض الدروس، فرفض الأطباء ذلك، فألح عليهم فوافقوه بعد الإلحاح منه وشاركوه الذهاب، فكان يلقي دروسه مع ما يعانيه من المرض. ثم توفى بعد ذلك بأيام رحمه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا وأحبابنا وجميع المسلمين في جنات النعيم.

وفاتــه: توفي رحمه الله في يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. بعد أن ملأ الدنيا علماً وتأليفاً وطلاباً واجتهاداً. وقد ترك فراغاً في الساحة العلمية، والدعوية، والسياسية، رحمه الله رحمةً واسعة وعوَّض الأمة خيراً منه... آمين.

ثالثاً: التعليق على مقدمته في شرحه للكتاب

* **ثناؤه على الإمام النووي رحمه الله**: قال رحمه الله ـ بعد الاستفتاح ـ: (أمّا بعد فإن الحافظ النووي رحمه الله: من أصحاب الشافعي المعتبرة أقوالهم، ومن أشد الشافعية حرصاً على التأليف. وقد ألّف في فنون شتى: في الحديث وعلومه، وألّف في علم اللغة كتاب (تهذيب الأسماء واللغات)، وهو في الحقيقة من أعلم الناس)(١). وقال رحمه الله: (والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه من أخلص الناس في التأليف، لأن تأليفاته رحمه الله انتشرت في العالم الإسلامي، فلا تكاد تجد مسجداً إلاّ ويُقرأ فيه كتاب (رياض الصالحين)، وكتبه مشهورة مبثوثة في العالم، مما يدل على صحة نيته، فإنّ قبول الناس للمؤلفات من الأدلة على إخلاص النية)(٢). وقال رحمه الله أيضاً: (فالنووي نشهد له فيما نعلم من حاله بالصلاح، وأنه مجتهد، وأن كل مجتهد يصيب وقد يخطئ، إن أخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران)(٣). وقال رحمه الله في كلامه عن البدع: (وأضرب مثلاً بحافظين معتمدين موثوقين بين المسلمين وهما: النووي، وابن حجر رحمهما الله. فالنووي: لا نشك أن الرجل ناصح وأن له قدم صدق في الإسلام، ويدل لذلك قبول مؤلفاته)(٤).

* **اعتذاره عن الإمام النووي قبل نقده له**: وجّه سماحة شيخنا انتقاداً للإمام النووي يتعلق بالعقيدة، لكنه رحمه الله، قبل انتقاده له في ذلك اعتذر عنه ـ وهذا من أعلى درجات الاعتذار والدفاع، وطمأنة القارئ بما يقرؤه عن الإمام النووي ـ

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧].
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧].
(٣) المرجع السابق نفسه: [ص: ٨].
(٤) المرجع السابق نفسه: [ص: ٣١٤].

حيث ضلَّ في هذا الجانب أناس سيأتي إيضاح كلامه عنهم في المبحث اللاحق ـ فقال: وهو رحمه الله مجتهد، والمجتهد يخطئ ويصيب. قال: وقد أخطأ رحمه الله في مسائل الأسماء والصفات، فكان يؤول فيها، لكنه لا ينكرها فمثلاً: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الفرقان: ٥٩)، يقول أهل التأويل معناها: استولى على العرش، لكن لا ينكرون ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ لأنهم لو أنكروا الاستواء تكذيباً لكفروا. فهم يصدقون به ولكن يحرفونه[١].

* **دفاعه عن الإمام النووي في معتقده:** قال رحمه الله بعد أن أوضح الخطأ الذي وقع فيه الإمام النووي: (ومثل هذه المسائل التي وقعت منه رحمه الله خطأ في تأويل بعض نصوص الصفات إنه لمغمور بما له من فضائل ومنافع جمة، ولا نظن أن ما وقع منه إلاَّ صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ ـ ولو في رأيه ـ وأرجو أن يكون من الخطأ المغفور، وأن يكون ما قدَّمه من الخير والنفع من السعي المشكور، وأن يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (هود: ١١٤)، ولقد ضل قوم من الخلف الخالفين الذين أخذوا يسبونه سباً عظيماً حتى بلغني أن بعضهم، قال: يجب أن يحرق شرح النووي على صحيح مسلم.. نسأل الله العافية)[٢].

* **ثناؤه على الكتاب، وذِكْر عدد أحاديثه:** قال رحمه الله: (وقد ألَّف مؤلفات كثيرة، من أحسنها هذا الكتاب: (الأربعون النووية) وهي ليست أربعين، بل هي اثنان وأربعون، لكن العرب يحذفون الكسر في الأعداد فيقولون: أربعون وإن زاد واحداً أو اثنين، أو نقص واحداً أو اثنين)[٣]. قال رحمه الله: (وهذه الأربعون

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ رحمه الله: [١/ ١٧٦].
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٨].
(٣) المرجع السابق.

ينبغي لطالب العلم أن يحفظها، لأنها منتخبة من أحاديث عديدة وفي أبواب متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات، فلو نظرنا إلى عمدة الأحكام لوجدناها منتخبة، لكنها في باب واحد وهو باب الفقه. أمَّا الأربعون النووية فهي في أبواب متفرقة متنوعة)[1]. ثم في نهاية شرحه للأحاديث. قال رحمه الله عند آخر حديث أورده الإمام النووي في آخر شرحه له: (ومن حسن تأليف المؤلف أنه جعل هذا الحديث آخر الأحاديث التي اختارها رحمه الله المختوم بالمغفرة، وهذا يسمى عند البلاغيين: براعة اختتام)[2].

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) المرجع السابق نفسه: [ص: ٤٣٨].

الفصل الأول

منهجه في إيراد الأحاديث والكلام عن أسانيدها

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: طريقة إيراده لنصوص الأحاديث.

المبحث الثاني: تخريجه للأحاديث.

المبحث الثالث: رواة الأحاديث.

المبحث الرابع: كلامه على المصطلحات الحديثية.

المبحث الخامس: الحكم على الأحاديث.

المبحث الأول

طريقة إيراده لنصوص الأحاديث

يورد الحديث كما أورده المؤلف رحمه الله لا يزيد عليه ولا ينقص، وهذا ظاهر في جميع الأحاديث التي أوردها. حيث يورده بنصه من غير التعرض لما فيه من زيادة أو نقص في بعض ألفاظ الأحاديث، ويساير المؤلف فيما ذكره من زيادة في بعض الألفاظ، مثال ذلك:

الحديث الخامس، فقد أورد الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا... الحديث)**[(١)]. وفي رواية لمسلم: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[(٢)].

وكما في الحديث التاسع عشر، حديث ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **(يا غلام إني أعلمك كلمات... الحديث)**، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٣)]، وفي رواية غير الترمذي، قال: **(احفظ الله تجده أمامك... الحديث)**[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا أصلحوا: [ح: ٢٦٩٧]، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة: [ح: ١٧١٨].

(٢) أخرجه في صحيحه في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة: [ح: ١٧١٨].

(٣) أخرجه الترمذي، في كتاب صفة القيامة، باب حديث حنظلة...: [ح: ٢٥١٦]، والإمام أحمد: [١/ ٢٩٣].

(٤) أخرجه الإمام أحمد: [١/ ٣٠٧]، والحاكم في المستدرك: [٣/ ٦٢٤].

المبحث الثاني

تخريجـــه للأحـــاديث

في التخريج سار على مسلكه السابق في المبحث الأول في إيراد الحديث، بحيث أنه لا يذكر من التخريج إلاَّ ما ذكره الإمام النووي رحمه الله، ويقتصر عليه، بل حتى الأحاديث التي تحتاج إلى إيضاح أكثر فيمن أخرجها من غير البخاري ومسلم لم يتعرض لها.

وقد ترك حديثاً واحداً لم يذكر من أخرجه، وهو الحديث الحادي والعشرون، مع أن الإمام النووي رحمه الله قد نسبه لمسلم رحمه الله وكذا بقية الشراح فقد نسبوه لمسلم كما فعل النووي رحمه الله[١]، فقال: رواه مسلم[٢].

ولعله سهو من شيخنا رحمه الله، أو من الطابع وهو الأقرب، حيث أنه ليس من عادته ترك ما ذكره الإمام النووي رحمها الله. يشرح أحياناً بعض ما قد يظهر فيه الإبهام في ألفاظ التخريج: فقد أورد الحديث التاسع والثلاثين: حديث ابن عباس رضي الله عنهما... ثم قال الإمام النووي رحمه الله: رواه ابن ماجه، والبيهقي، وغيرهما. قال: هنا يقول المؤلف رحمه الله: رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

(فلو أخذنا كلامه على العموم، لكان رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي لدخول هؤلاء في قوله: (وغيرهما) لكن هذا ليس بوارد، لأن من عادتهم إذا ذكروا المخرجين الذين دون درجة الصحيحين ثم قالوا: وغيرهما. فالمراد من هو دونهما أو مثلهما، ولا يريدون أن يدخل من هو أعلى منهما، لأنهم لو أرادوا من هو أعلى منهما لَعِيبَ على من ذكر الدون وأحال على الأعلى، وهذا واضح، لأن الواجب أن يذكر الأعلى ثم يقال: غيره)[٣].

---

(١) جزء فيه الأربعون النووية، وتتمتها للحافظ ابن رجب: [ص: ١٤]. وانظر: الفتح المبين لابن حجر الهيثمي: [ص: ٤٣٧]، وشرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد: [ص: ٩].

(٢) في صحيحه في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام: [ح: ٣٨].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤١٣ ـ ٤١٤].

المبحث الثالث

رواة الأحـــــاديث

يورد الحديث من غير إسناد، وإنما يقتصر على ذكر الصحابي راوي الحديث فقط، ثم يترجم له أحياناً. وقد تنوعت طريقته رحمه الله في الترجمة للصحابة رواة الحديث:

فأحياناً يتوسع في الترجمة قليلاً، مثاله:

حديث عمر الأول: (إنما الأعمال بالنيات...)[1]. فقد ترجم لعمر، فقال: (عن أمير المؤمنين: وهو أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **آلت** إليه الخلافة بتعيين أبي بكر الصديق رضي الله عنه له، فهو حسنة من حسنات أبي بكر، ونصبه في الخلافة شرعي، لأن الذي عينه أبو بكر، وأبو بكر تعين بمبايعة الصحابة له في السقيفة، فخلافته شرعية كخلافة أبي بكر، ولقد أحسن أبو بكر اختياراً حيث اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[2].

وحديث عائشة الخامس: فقد ترجم لعائشة رضي الله عنها، فقال:

(كُنِّيَتْ عائشة رضي الله عنها بأم المؤمنين، لأنها إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع أمهات المؤمنين يُكَّنين بهذه الكنية، كما قال الله عزَّ وجل:) ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، فكل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين. وقوله «أم عبدالله»: هذه كنية، وهل ولد لها رضي الله عنها ولدٌ أم لا؟ **والجواب**: أنه ذكر بعض أهل العلم أنه ولد

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ح: ١]، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات... [ح: ١٩٠٧ (١٥٥)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩].

لها ولد سقط لم يعش، وذكر آخرون أنه لم يولد لها سقط ولا حي، ولكن هي تكنَّت بهذه الكنية لأن أحب الأسماء إلى الله: عبدالله، وعبدالرحمن[1]. وقوله: «عائشة» هذا اسم أم المؤمنين، وهي ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها ست سنين، وبنى بها ولها تسع سنين، وروتْ للأمة علماً كثيراً وفقهاً غزيراً، فهي رضي الله عنها من المحدِّثات، ومن الفقيهات)[2].

وحديث الحسن بن علي الحادي عشر: فقد ترجم للحسن رضي الله عنهما، فقال: (الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط النبي صلى الله عليه وسلم، والسبط: هو ابن البنت، وابن الابن يسمى: حفيداً، وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيِّد، فقال: (إنَّ ابْنِي هذا سيِّدٌ، وسيُصْلِحُ الله به بين فئتين من المسلمين)[3]، وكان الأمر كذلك، فإنه بعد أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبويع بالخلافة للحسن تنازل عنها لمعاوية رضي الله عنه، فأصلح الله بهذا التنازل بين أصحاب معاوية وأصحاب علي رضي الله عنهما، وحصل بذلك خير كثير. وهو أفضل من أخيه الحسين رضي الله عنهما، لكن تعلقت الرافضة بالحسين لأن قصة قتله رضي الله عنه تثير الأحزان، فجعلوا ذلك وسيلة، ولو كانوا صادقين في احترام آل البيت لكانوا يتعلقون بالحسن أكثر من الحسين لأنه أفضل منه)[4].

وأحياناً يوجز في الترجمة، كما في الحديث التاسع عن أبي هريرة، فقد ترجم لأبي هريرة بترجمة موجزة. **وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص، الحديث الحادي والأربعون**، فقد ترجم له ترجمة موجزة، قال فيها: (عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما من المكثرين رواية للحديث، لأنه كان يكتب، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يغبطه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء: [ح: ٢١٣٢].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١١٣ ـ ١١٤].

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: [ح: ٢٧٠٤].

(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧٦].

على هذا، ويقول: «لا أعلم أحداً أكثر حديثاً مني عن رسول الله ﷺ إلاَّ عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[1] [2].

وأحياناً لا يترجم لهم، وهذا هو الأغلب في الأحاديث التي شرحها. فإنه لم يترجم إلاَّ لعدد قليل. يشير في ترجمته لهم إلى عبارات الترضي عنهم، والفارق بين الإفراد والتثنية، مثاله: قال عند إيراده لحديث عبدالله بن عمر: الحديث الثالث رضي الله عنهما: (قال العلماء إذا كان الصحابي وأبوه مسلمين، فقل: رضي الله عنهما، وإذا كان الصحابي مسلماً، وأبوه كافراً، فقل: رضي الله عنه)[3]، يعني بالتثنية أو الإفراد. يرد أحياناً بعض الأسماء المبهمة في ثنايا الحديث، فلا يعرج على الكلام عليها، بل ينتقد من يتعب نفسه في البحث عن ذلك: **كما في الحديث السادس عشر: حديث أبي هريرة** رضي الله عنه، أن رجلاً، قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: (لا تغضب)[4]. قال رحمه الله: (لم يبيِّن هذا الرجل، وهذا يأتي كثيراً في الأحاديث لا يبيِّن فيها المبهم، وذلك لأن معرفة اسم الرجل أو وصفه لا يُحتاج إليه، وتجد بعض العلماء يتعب تعباً عظيماً في تعيين هذا الرجل، والذي أرى أنه لا حاجة للتعب ما دام الحكم لا يتغير بفلان أو فلان)[5]. وكذا **في الحديث الثاني والعشرين، حديث جابر** رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ .قال رحمه الله: (يقول جابر رضي الله عنه: إن رجلاً سأل النبي ﷺ، وهذا الرجل لا نحتاج لمعرفة عينه، لأن المقصود القضية التي وقعت، ولا نحتاج إلى التعب في البحث عنه، اللهم إلاَّ أن يكون تعيينه مما يختلف به الحكم فلابد من التعيين)[6].

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب كتابة العلم: [ح: ١١٣].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢٦].

(٣) المرجع السابق: [ص: ٩٥].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: [ح: ٦١١٦].

(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٠٥].

(٦) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٣٨].

المبحث الرابع

كلامه على المصطلحات الحديثية

يشير رحمه الله إلى المصطلحات الحديثية التي ترد عند الأحاديث التي يذكرها. ومن الأمثلة على ذلك:

الحديث الحادي عشر، حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: عند قول الإمام النووي في الحكم عليه: وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال رحمه الله: (والحديث كما قال الترمذي صحيح، لكن في الجمع بين كونه حسناً وكونه صحيحاً إشكالاً، لأن المعروف أن الصحيح من الحديث غير الحسن، لأن العلماء قسموا الحديث إلى: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، وحسن لذاته، وحسن لغيره، وضعيف. فكيف يُجمع بين وصفين متناقضين لموصوف واحد: حسن صحيح؟؟ أجاب العلماء عن ذلك: بأنه: إن كان هذا الحديث جاء من طريق واحد فمعناه أن الحافظ شكَّ هل بلغ هذا الطريق درجة الصحيح أو لا زال في درجة الحسن. وإذا كان من طريقين فمعنى ذلك: أن أحد الطريقين صحيح والآخر حسن. **وهنا فائدة في**: أيّهما أقوى أن يوصف الحديث بالصحة، أو بكونه صحيحاً حسناً؟ **الجواب**: نقول: إذا كان من طريقين فحسن صحيح أقوى من صحيح، وإن كان من طريق واحد فحسن صحيح أضعف من صحيح، لأن الحافظ الذي رواه تردد هل بلغ درجة الصحة أو لا زال في درجة الحسن)[1].

الحديث الرابع والعشرين، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه عزَّ وجل، أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم... الحديث)[2]. قال رحمه الله:

---

(١) المرجع السابق: [ص: ١٧٨ ـ ١٧٩].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم: [ح: ٢٥٧٧ (٥٥)].

(قوله: «فيما يرويه» الرواية: نقل الحديث «عن ربِّه» أي عن الله عزَّ وجل، وهذا الحديث يسمى عند المحدِّثين قدسياً، والحديث القدسي: كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عزَّ وجل. لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً، وليس من القرآن بالإجماع، وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عزَّ وجل. وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي: هل هو كلام الله تعالى، أو أنَّ الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ معناه، واللفظ لفظ رسول الله ﷺ؟ على قولين:...)، ثم أسهب رحمه الله في التعريف بالحديث القدسي، والفرق بينه وبين القرآن الكريم والحديث غير القدسي[1].

والحديث السابع والثلاثون، حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه، قال رحمه الله: (يسمى هذا الحديث عند العلماء حديثاً قدسياً) [2].

وكذا الحديث الثامن والثلاثون، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى، قال: من عادى لي ولياً... الحديث)[3]. قال رحمه الله: (هذا حديث قدسي، كالذي سبقه، وقد تكلمنا على ذلك)[4]. كما أشار رحمه الله إلى أعلى درجات الصحيح من الحديث: حينما أورد **حديث عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)[5]. فقال؟ بعد ذكر تخريج الإمام النووي رحمه الله له، وأنه خرَّجه البخاري ومسلم: (أي صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهما أصحَّ الكتب المصنفة في علم الحديث، ولهذا قال بعض المحدِّثين: إن ما اتفقا عليه لا يفيد الظن فقط بل يفيد العلم. وصحيح البخاري أصحَّ من مسلم، لأن البخاري

---

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٥٨ ـ ٢٦١].
(٢) المرجع السابق: [ص: ٣٩٨].
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع: [٦٥٠٢].
(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٠٧].
(٥) تقدَّم تخريجه.

رحمه الله يشترط في الرواية أن يكون الراوي قد لقي من روى عنه، وأمّا مسلم رحمه الله فيكتفي بمطلق المعاصرة مع إمكان اللقيّ وإن لم يثبت لقيه، وقد أنكر على من يشترط اللقاء في أول الصحيح إنكاراً عجيباً. فالصواب ما ذكره البخاري رحمه الله أنه لا بد من ثبوت اللقي. لكن ذكر العلماء أن سياق مسلم رحمه الله أحسن من سياق البخاري، لأنه رحمه الله يذكر الحديث ثم يذكر شواهده ومتابعاته في مكان واحد، والبخاري رحمه الله يفرِّق الحديث، ففي الصناعة صحيح مسلم أفضل، وأمّا في الرواية والصحة فصحيح البخاري أفضل.

تشاجر قومٌ في البخاري ومسلم ... لديَّ وقالوا: أي ذَيْنِ تقدَّم
فقلتُ: لقد فاق البخاري صحة ... كما فاق في حسن الصناعة مسلم

قال بعض أهل العلم: ولولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء، لأنه شيخه. فالحديث إذن صحيح يفيد العلم اليقيني، لكنه ليس يقينياً بالعقل وإنما هو يقيني بالنظر لثبوته عن النبي ﷺ)[1].

وأشار رحمه الله إلى المدرج من الحديث، ومثاله: الحديث الرابع، حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يُجمع خلقُه... الحديث)[2]. قال رحمه الله: (وإذا اختلف المحدثون في جملة من الحديث، أمدرجة هي أم من أصل الحديث؟ فالأصل أنها من أصل الحديث، فلا يقبل الإدراج إلاَّ بدليل لا يمكن أن يجمع بـه بين الأصل والإدراج)[3]. **كما أشار رحمه الله إلى عبارات السماع وتكلّم عنها**، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧ ـ ١٨].
(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: [ح: ٣٢٠٨]، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي: [ح: ٢٦٤٣ (١)].
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٣].

الحديث الأول، حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)[1]. قال رحمه الله: (وفي قوله: «سمعتُ» دليل على أنه أخذه من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة)[2].

وفي الحديث الرابع أيضاً، حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. قال رحمه الله: (قوله «حدَّثنا» حدَّث وأخبر في اللغة العربية بمعنى واحد، وهي كذلك عند قدماء المحدِّثين، لكن عند المتأخرين من المحدِّثين يفرقون بين «حدَّثنا» و «أخبرنا»، وعلم ذلك مذكور في مصطلح الحديث)[3].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩٩].

المبحث الخامس

الحكــم على الأحــاديث

الأحاديث التي جمعها الإمام النووي، وسُمِّيتْ بالأربعين النووية، فيها عدد كبير من غير البخاري ومسلم، فهي بحاجة إلى من يقف على صحتها، ويدرس إسنادها وإن كان الإمام النووي رحمه الله ينقل ما نصَّ عليه العلماء على تصحيح حديث أو أنه يصححه بنفسه رحمه الله. وقد خرَّجها وحكم عليها وتوسَّع في دراستها الحافظ ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه «الفتح المبين بشرح الأربعين»، وكذا ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «جامع العلوم والحكم». لذا فإن شيخنا رحمه الله اقتصر على متابعة الإمام النووي رحمه الله في الحكم عليها، فلم يعرج على الحكم على الأحاديث صحة أو ضعفاً إلاَّ في حديثين فقط بإشارة مختصرة وهما: **الحديث الثاني والثلاثون**: حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار... الحديث)[1]. قال رحمه الله: (يقول المؤلف رحمه الله «حديث حسن رواه ابن ماجه والدار قطني وغيرهما مسنداً») قال: أي متصل السند، وقوله: (رواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأسقط أبا سعيد). قال: والحديث إذا سقط منه الصحابي سمي مرسلاً، ولكن النووي رحمه الله قال: «وله طرق يقوِّي بعضها بعضاً».

قال رحمه الله: ولا شكَّ أنه إذا تعددت طرق الحديث وإن كان كل طريق على انفراده ضعيفاً فإنه يقوى، ولهذا قال الشاعر:

لا تخاصم بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قويّاً[2]

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره: [ح: ٢٣٤٠]، وأحمد: [١/ ٣١٣]، والبيهقي: [٦/ ٧].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٥٥].

وكذا الحديث الحادي والأربعون، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم... الحديث). قال رحمه الله معلقاً على قول النووي: «حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح»: (تعقب ابن رجب رحمه الله هذا التصحيح من المؤلف، وقال: الحديث لا يصح، ولذلك يحسن تتبع شرح ابن رجب رحمه الله ونقل تعقيبه على الأحاديث، لأن ابن رجب رحمه الله حافظ من حفّاظ الحديث، وهو إذا أعلَّ الأحاديث التي ذكرها النووي رحمه الله يبيِّن وجه العلة[1]. قال رحمه الله: لكن معنى الحديث بقطع النظر عن إسناده صحيح[2].

- وقد يشير رحمه الله إلى ما قد يخطر على بال القارئ من تعجب في انفراد أحد الصحابة برواية حديث ما، مع أهميته.

فقد أورد الحديث الأول، حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات.. الحديث)[3].

وقال بعده: (والعجب أن هذا الحديث لم يروه عن رسول الله ﷺ إلاَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مع أهميته، لكن له شواهد في القرآن والسنة..)[4].

ثم أورد رحمه الله عدداً من الآيات والأحاديث التي في معنى الحديث، وأن الأعمال لا تقبل إلاَّ بنية.

---

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢٦ ـ ٤٢٧].

(٢) قد أعله ابن رجب رحمه الله في كتابه «جامع العلوم والحكم: [ص: ٤٦٧]، وتوسع في رد الحديث وإيضاح أسباب تضعيفه. لكن قال الحافظ ابن حجر الهيثمي في «الفتح المبين بشرح الأربعين: [ص: ٦٦٠]، بعد قوله: بإسناد صحيح: قال بعضهم: هو كما قال وبيَّن ذلك. ويؤيده أن الحافظ أبا نعيم أخرجه في كتابه «الأربعين»، التي شرط أولها أن يكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار، ومما أجمع الناقلون على عدالة ناقله، وخرَّجه أئمة آخرون في مسانيدهم كالطبراني، والحافظ ابن أبي عاصم، لكن اعترض بعضهم.. وأورده السيوطي في الجامع الكبير مخطوط: [١/ ٩١٨]، وقال: رواه أبو نصر السجزي في الإبانة، وقال: حسن غريب.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠].

الفصل الثاني

منهجه رحمه الله في شرح الأحاديث

وفيه أربعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: ذِكْره للأوجه البلاغية والإعرابية واللغوية.

المبحث الثاني: ألفاظ الأحاديث.

المبحث الثالث: تقسيمه الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب.

المبحث الرابع: تنويعه لطريقة السؤال في المسائل التي يوردها.

المبحث الخامس: ربطه الشرح بالواقع المعاصر.

المبحث السادس: تركيزه رحمه الله على الجوانب العقدية.

المبحث السابع: توسعه في الجوانب الفقهية.

المبحث الثامن: كثرة ضربه للأمثلة من الواقع مع تنويعها.

المبحث التاسع: مقارنته بين أشياء متباينة لتقريب الحكم للسامع.

المبحث العاشر: تنبيهه رحمه الله على الأخطاء.

المبحث الحادي عشر: ذكره لبعض القصص المهمة.

المبحث الثاني عشر: كلامه عن بعض قضايا طبية، أو تاريخية.

المبحث الثالث عشر: تردده في بعض المسائل الفقهية، أو رجوعه عن قوله إلى قول غيره.

المبحث الرابع عشر: اعتماده في شرحه للأحاديث على فهمه واستنباطه.

المبحث الأول

ذِكره للأوجه البلاغية والإعرابية واللغوية

أولاً: الأوجه البلاغية

اهتم رحمه الله بما يرد في الحديث من بعض القضايا البلاغية أو الإعرابية أو اللغوية الواردة في الحديث، فمن أمثلة ذلك:

١ ـ الحديث الأول: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث) [1]. قال رحمه الله: وفي قوله: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه «من البلاغة: إخفاء نية من هاجر للدنيا، لقوله: «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ولم يقل: إلى دنيا يصيبها، والفائدة البلاغية في ذلك هي: تحقير ما هاجر إليه هذا الرجل، أي ليس أهلاً لأن يذكر، بل يكنى عنه بقوله: «إلى ما هاجر إليه»[2]. وقوله: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله»، الجواب: «فهجرته إلى الله ورسوله»، فذكره تنويهاً بفضله، «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ولم يقل: إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، لأن فيه تحقيراً لشأن ما هاجر إليه، وهي: الدنيا أو المرأة[3].

٢ـ الحديث السابع: حديث أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (الدين النصيحة... الحديث)[4]. قال رحمه الله: «الدين النصيحة» الدين: مبتدأ، والنصيحة خبر، وكل من المبتدأ والخبر معرفة، وعلماء البلاغة يقولون: إذا كان

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠ ـ ١١].

(٣) المرجع السابق: [ص: ١١].

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة: [ح: ٩٥ (٥٥)].

المبتدأ معرفة والخبر معرفة كان ذلك من طرق الحصر، وأبهم النبي ﷺ لمن تكون النصيحة من أجل أن يستفهم الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك، لأن وقوع الشيء مجملاً، ثم مفصلاً من أسباب رسوخ العلم، لأنه إذا أتى مجملاً تطلعت النفس إلى بيان هذا المجمل، فيأتي البيان والنفس متطلعة إلى ذلك متشوقة له، فيرسخ في الذهن أكثر مما لو جاء البيان من أول مرة) [(١)].

ثانياً: الأوجه الإعرابية

١ـ الحديث الأول: حديث عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)[(٢)]: قال رحمه الله: (أمّا من جهة الإعراب، وهو البحث الثاني، فقوله: «إنما الأعمال بالنيات»: مبتدأ وخبر، الأعمال: مبتدأ، والنيات: خبره، «وإنما لكل امريء ما نوى»: أيضاً مبتدأ وخبر، لكن قُدِّم الخبر على المبتدأ، لأن المبتدأ في قوله «وإنما لكل امريء ما نوى» هو: «ما نوى» متأخر. قوله: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» هذه جملة شرطية، أداة الشرط فيها: مَنْ، وفعل الشرط: كانت، وجواب الشرط: فهجرته إلى الله ورسوله)[(٣)]. وأحياناً يختصر القول، ليحيل إلى ما قبله لأنه بمعناه. ومثاله: عندما ذكر الأوجه الإعرابية في قوله: «فمن كانت هجرته...»، قال: وهكذا نقول في إعراب قوله: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها»[(٤)].

٢ـ الحديث التاسع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه... الحديث)[(٥)]. قال رحمه الله: (قوله «ما نهيتكم

---

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٣٥ ـ ١٣٦].

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية: ص: ١١].

(٤) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بالسنة: [ح: ٦٧٧٧]، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ: [ح: ١٣٣٧].

عنه فاجتنبوه» الجملة شرطية، فـ: «ما» اسم شرط، و: «نهيتكم» فعل الشرط، و: «فاجتنبوه» جواب الشرط، وقرنت بالفاء لأنها إحدى الجمل المنظومة في قول القائل:

إسمية، طلبية، وبجامدٍ وبما وقد وبلن وبالتنفيس

والجملة التي معنا طلبية لأنها فعل أمر. قال: «وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» هذه الجملة أيضاً شرطية، فعل الشرط فيها: «أمرتكم به» وجوابه: «فأتوا منه ما استطعتم»: يعني افعلوا منه ما استطعتم، أي ما قدرتم عليه. قال رحمه الله: «فإنما» إن للتوكيد، و «ما» اسم موصول بدليل قوله: «كثرة» على أنها خبر «إن» أي فإن الذي أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، ويجوز أن تجعل «إنما» أداة حصر، ويكون المعنى: ما أهلك الذين من قبلكم إلاَّ كثرة مسائلهم)[1].

ثالثاً: الأوجه اللغوية

١ـ الحديث الأول: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)[2]. قال رحمه الله: (أمَّا في اللغة فنقول: «الأعمال «جمع عمل، ويشمل أعمال القلوب، وأعمال النطق، وأعمال الجوارح، فتشمل هذه الجملة الأعمال بأنواعها. فالأعمال القلبية: ما في القلب من الأعمال، كالتوكل على الله، والإنابة إليه، والخشية منه، وما أشبه ذلك. والأعمال النطقية: ما ينطق به اللسان، وما أكثر أقوال اللسان، ولا أعلم شيئاً من الجوارح أكثر عملاً من اللسان، اللهم إلاَّ أن تكون العين أو الأذن. والأعمال الجوارحية: أعمال اليدين والرجلين، وما أشبه ذلك)[3].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٥٦].
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١١ ـ ١٢].

٢ـ الحديث الرابع عشر: حديث ابن مسعود ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امريء مسلم إلاَّ بإحدى ثلاث:... الحديث)[١].

قال ﵀: «لا يحل دم امريء مسلم «أي لا يحل قتله، وفسَّرناها بذلك، لأن هذا هو المعروف في اللغة العربية، قال النبي ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[٢]. وقوله: «امريء مسلم» التعبير بذلك لا يعني أن المرأة يحل دمها، ولكن التعبير بالمذكر في القرآن والسنة أكثر من التعبير بالمؤنث، لأن الرجال هم الذين تتوجه إليهم الخطابات وهم المعنيون بأنفسهم وبالنساء)[٣].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: (**والأذن بالأذن...**): [ح: ٦٤٨٤]، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم: [ح: ١٦٧٦ (٢٥)].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب: [ح: ١٠٥]، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال: [ح: ١٦٧٩].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٨٨].



المبحث الثاني

ألفـــاظ الأحـــاديث

لقد قام رحمه الله بشرح جميع الألفاظ الواردة في الأحاديث التي أوردها الإمام النووي رحمه الله، سواء ما يكون منها لغوياً أو فقهياً أو عقدياً أو غير ذلك مما تحتويه من معانٍ متنوعة، ومن أمثلة ذلك:

١ـ الحديث الثالث والعشرون: حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان... الحديث) رواه مسلم[١].

قال رحمه الله: قوله «الطهور شطر الإيمان »: أي نصفه، وذلك أن الإيمان ـ كما يقولون ـ تخلية وتحلية. التخلية: بالطهور، والتحلية: بفعل الطاعات. فوجه كون الطهور شطر الإيمان: أن الإيمان إمَّا فعل وإمَّا ترك. والتَّرك: تطهُّرٌ، والفعل إيجاد. فقولـه: «شطر الإيمان «قيل معناه: التخلي عن الإشراك لأن الشرك بالله نجاسة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨)، فلهذا كان الطهور شطر الإيمان، وقيل: إن معناه أن الطهور للصلاة شطر الإيمان، لأن الصلاة إيمان ولا تتم إلاَّ بطهور، لكن المعنى الأول أحسن وأعمّ[٢].

٢ـ الحديث السابع والعشرون: حديث النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (البر حسن الخلق... الحديث) رواه مسلم[٣]. قال رحمه الله: (قوله: «البر»، أي الذي ذكره الله تعالى في القرآن فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢). والبر كلمة تدل على كثرة الخير. وقال: «حسن الخلق» أي حسن الخلق مع الله،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: [ح: ٢٢٣ ـ (١)].
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٤٣].
(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تفسير البر والإثم: [ح: ٢٥٥٣ ـ (١٤)].

وحسن الخلق مع عباد الله. فأمَّا حسن الخلق مع الله: فأن تتلقى أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعاً، فإذا أمرك بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

وأيضاً حسن الخلق مع الله في أحكامه القدرية، فالإنسان ليس دائماً مسروراً، حيث يأتيه ما يحزنه في ماله أو في أهله أو في نفسه أو في مجتمعه، والذي قدَّر ذلك هو الله عزَّ وجل فتكون حسَنَ الخلق مع الله، وتقوم بما أُمرْتَ به وتنزجر عما نُهيت عنه. أمَّا حسن الخلق مع الناس، فقد سبق أنه: بذْلُ الندى، وكف الأذى، والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه.هذا هو البر، والمراد به البر المطلق، وهناك بر خاص كبرِّ الوالدين مثلاً، وهو الإحسان إليهما بالمال والبدن والجاه وسائر الإحسان)[1].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٩٣ ـ ٢٩٤].

المبحث الثالث

تقسيمه الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب

يقسِّم الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب، فيسأل سؤالاً افتراضياً، ثم يجيب عليه. وقد أكثر من ذلك في شرحه رحمه الله. ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ الحديث الثاني: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب... الحديث[١]. قال رحمه الله: (مسألة: هل هذه الشهادة تُدخِل الإنسان في الإسلام)؟

الجواب: نعم تدخله في الإسلام. حتى لو ظننا أنه قالها تعوُّذاً، فإننا نعصم دمه وماله، ولو ظننا أنه قالها كاذباً، ودليل ذلك قصة المشرك الذي أدركه أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين هرب المشرك، فلما أدركه أسامة بالسيف قال: لا إله إلاَّ الله، فقتله أسامة ظناً أنه قالها تعوُّذاً من القتل، أي قالها لئلا يُقْتل، فقتله، فلما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم جعل يردد: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلاَّ الله؟) قال: يا رسول الله إنما قالها تعَوُّذاً وجعل صلى الله عليه وسلم يردد: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلاَّ الله؟) قال أسامة: فتمنيتُ أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، من شدة ما وجد رضي الله عنه)[٢] [٣]. وذكر مسألة أخرى رحمه الله في نفس الحديث: قال: (وهنا مسألة: هل وجد التطاول في البنيان أم لا؟

والجواب: الله أعلم، فإنه قد يوجد ما هو أعظم مما في هذا الزمان، لأن كل أناس وكل جيل يحدث فيه من التطاول والتعالي في البنيان، وكل زمن يقول أهله: هذا من أشراط الساعة، والله أعلم، لكن هذه علامة واضحة [٤].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان: [ح: ٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد: [ح: ٤٢٦٩]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله: [ح: ٩٦].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٠ ـ ٣١].

(٤) المرجع السابق: [ص: ٦٧].

المبحث الرابع

تنويعه لطريقة السؤال في المسائل التي يوردها

تنوعت طريقته رحمه الله في إيراد الأسئلة داخل المسائل التي يريد عرضها، ثم الإجابة عليها وأكثرها عقدية أو فقهية، وأحياناً لغوية أو غيرها، فمن الأمثلة على ذلك:

١ـ الحديث الثاني: حديث عمر رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب... الحديث.

قال رحمه الله: «وأخبر النبي ﷺ أن الله لما خلق القلم قال له: (أكتب. قال ربِّ: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)[1]. فأمر القلم أن يكتب. قال رحمه الله: (ولكن كيف يوجه الخطاب إلى الجماد؟).

الجواب عن ذلك: نعم، من الله يصح، لأنه هو الذي يُنْطِقُ الجماد ثم إن الجماد بالنسبة إلى الله عاقل يصحّ أن يوجه إليه الخطاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)[2].

٢ـ وقال في الحديث الثاني أيضاً: «أن تلد الأمة ربتها» وفي لفظ «ربها»، والمعنى: أن تلد الأمة «أي الرقيقة المملوكة» «ربها» أي سيدها، أو «ربتها»، وهل المراد العين أو الجنس؟

قال رحمه الله **والجواب:** اختلف في هذا العلماء، فمنهم من قال: المراد أن تلد الأمة

---

(١) أخرجه أحمد: [٥/ ٣١٧]، وأبو داود في كتاب السنة، باب القدر: [ح: ٤٧٠٠]، والترمذي في كتاب القدر، باب إعظام أمر الإيمان بالقدر: [ح: ٢١٥٥].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٦٢].



ربها. يعني أن تلد الأمة من يكون سيداً لغيرها لا لها، فيكون المراد بالأمة: الأمة بالجنس [1].

٣ـ وفي الحديث الثاني أيضاً: ذكر رحمه الله سؤالاً يتعلق بالحج عن الميت، بعد كلامه عن رجل ترك الحج حتى مات: قال رحمه الله: وهنا مسألة: هل يجب على ورثته أن يخرجوا الحج عنه من تركته؟

والجواب: لا، لأنه لا ينفعه ولم يتعلق به حق الغير كالزكاة، قال ابن القيم في تهذيب السنن: «هذا هو الذي ندين الله به» أو كلمة نحوها، وهو الذي تدل عليه الأدلة [2].

٤ـ الحديث التاسع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه.. الحديث)[3]. بعدما أورد رحمه الله فوائد الحديث، قال بعد الفائدة الثالثة: (فإن قال قائل يرد على هذا إباحة الميتة والخنزير للمضطر، وإذا كان مضطراً لم يجب الاجتناب)؟

فالجواب عن هذا أن نقول: إذا وجدت الضرورة ارتفع التحريم، فلا تحريم أصلاً، ولهذا كان من قواعد أصول الفقه: «لا محرَّم مع الضرورة، ولا واجب مع العجز». إذاً هذا الإيراد غير وارد. ولو قال لنا قائل: «فاجتنبوه» عام فيشمل اجتناب أكل الميتة عند الضرورة. فنقول: لا يشمل، إذا وجدت الضرورة ارتفع التحريم.

هل يجوز فعل المحرَّم عند الضرورة أم لا؟ **والجواب:** أنه يجوز لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١١٩)[4].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٦٦].
(٢) المرجع السابق: [ص: ٧٢].
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٥٨].

ـ وأحياناً يورد سؤالاً وجواباً لغوياً في غاية النفاسة والأهمية. مثاله:

قال عند حديث عمر الأول: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)[1]. قال رحمه الله: وهنا مسألة: هل هاتان الجملتان بمعنى واحد، أو مختلفتان؟

الجواب: يجب أن نعلم أن الأصل في الكلام التأسيس دون التوكيد، ومعنى التأسيس: أن الثانية لها معنى مستقل، ومعنى التوكيد: أن الثانية بمعنى الأولى. وللعلماء رحمهم الله في هذه المسألة رأيان، **أولهما:** أن الجملتين بمعنى واحد، فقد قال النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) وأكد ذلك بقوله: (وإنما لكل امريء ما نوى).

والرأي الثاني: أن الثانية غير الأولى، فالكلام من باب التأسيس لا من باب التوكيد.

* **والقاعدة:** أنه إذا دار الأمر بين كون الكلام تأسيساً أو توكيداً فإننا نجعله تأسيساً، وأن نجعل الثاني غير الأول، لأنك لو جعلت الثاني هو الأول صار في ذلك تكرار يحتاج إلى أن نعرف السبب.

والصواب: أن الثانية غير الأولى، فالأولى باعتبار المنوي وهو العمل. والثانية باعتبار المنوي له وهو المعمول له، هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا. ويدل لهذا ما فرعه عليه النبي ﷺ في قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) وعلى هذا يبقى الكلام لا تكرار فيه[2].

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٢ ـ ١٣].



المبحث الخامس

ربطه الشرح بالواقع المعاصر

إن أكثر أمثلته ومناقشاته للمسائل تنصب على واقعنا المعاصر، فهو رحمه الله يحاول أن يربط بين معاني الكلمات الواردة في الأحاديث، وواقعنا المعاصر. ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ **الحديث العاشر**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيباً... الحديث)(١).

قال رحمه الله: الأمر بالأكل من الطيبات للمؤمنين والمرسلين.

ويتفرع على هذا فائدة: ذم من امتنع عن الطيبات بدون سبب شرعي، فلو أن إنساناً ـ بعد أن منَّ الله على الأمة بالغنى وأنواع الثمار والفواكه ـ قال: أنا لن آكل هذه تورُّعاً لا لعدم الرَّغبة، فإنه قد أخطأ وعمله خلاف عمل السلف الصالح، لأن السلف الصالح لما فتحوا البلاد صاروا يأكلون ويشربون أكلاً وشرباً لا يعرفونه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فمن امتنع عن الطيبات بغير سبب شرعي فهو مذموم رادُّ لمنَّة الله عزَّ وجل عليه(٢).

٢ـ **الحديث الخامس عشر**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. الحديث)(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب: [ح: ١٠١٥].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧٠].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان: [ح: ٦٤٧٥]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار: [ح: ٤٧، ٧٤].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والجار: هل هو الملاصق، أو المشارك في السوق، أو المقابل أو ماذا؟.

هذا أيضاً يرجع فيه إلى العرف، لكن قد رُوي أن الجار أربعون داراً من كل جانب[1]. وهذا في الوقت الحاضر صعب جداً.

في عهد النبي ﷺ أربعون داراً مساحتهم قليلة، لكن في عهدنا أربعون داراً قرية، فإذا قلنا إن الجار أربعون داراً والبيوت قصور كان فيها صعوبة، ولهذا نقول: إن صح الحديث فهو مُنَزَّل على الحال في عهد النبي ﷺ، وإن لم يصح رجعنا إلى العرف.

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»: الضيف هو النازل بك، كرجل مسافر نزل بك، فهذا ضيف يجب إكرامه بما يعد إكراماً.

قال بعض أهل العلم ـ رحمهم الله: إنما تجب الضيافة إذا كان في القرى أي المدن الصغيرة، وأمّا في الأمصار والمدن الكبيرة فلا تجب، لأن هذه فيها مطاعم وفنادق يذهب إليها ولكن القرى الصغيرة يحتاج الإنسان فيها إلى مكان يؤويه[2].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: [١/ ٥١، ح: ١٠٩]، والبيهقي في سننه الكبرى: [٦/ ١٧٦، ح: ١٢٣٩١].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢].

المبحث السادس

تركيزه رَحِمَهُ اللَّهُ على الجوانب العقدية

ركَّز رَحِمَهُ اللَّهُ على أمور العقيدة كثيراً وأخصه ما يدور من قضايا عقدية في عصرنا الحاضر. كما حذَّر من البدع كثيراً المحدثة وغيرها، فمن الأمثلة على ذلك:

١ـ الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجِلتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون... الحديث)[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر السنة السيئة والحسنة، ومثَّل بزيادة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأذان الأول ليوم الجمعة. ثم تكلم عن الأحزاب، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنه إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب، فقد ظهرت طوائف من قديم الزمان مثل الخوارج والمعتزلة والجَهمية والرافضة، ثم ظهرت أخيراً إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك، فكل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالإمام وما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين».

ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيين، والواجب أن تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزُّب إلى ما يسمى «السلفيون».

والواجب أن يجتمع رؤساء هذه الفرق، ويقولون: بيننا كتاب الله عزَّ وجل وسنة رسوله ﷺ فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء والآراء، ولا إلى فلان أو فلان، فكلٌّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة: [ح: ٤٦٠٧]، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: [ح: ٢٦٧٦]، وأحمد: [٤/ ١٢٦].

يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة ولكن العصمة في دين الإسلام[1].

ثم قال رحمه الله: الحث على التمسك بسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين تمسكاً تاماً، لقوله: «عضوا عليها بالنواجذ»[2].

ثم قال رحمه الله: أن جميع البدع ضلالة ليس فيها هدى، بل هي شر محض حتى وإن استحسنها من ابتدعها فإنها ليست حسنة لقول النبي ﷺ: «كل بدعةٍ ضلالة» ولم يستثنِ النبي ﷺ شيئاً[3].

٢ـ الحديث الرابع والثلاثون: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... الحديث)[4].

قال رحمه الله في استعراض الفوائد من الحديث: أن الإيمان عمل ونية، لأن النبي ﷺ جعل هذه المراتب من الإيمان، والتغيير باليد عمل، وباللسان عمل، وبالقلب نية. وهو كذلك، فالإيمان يشمل جميع الأعمال وليس خاصاً بالعقيدة فقط، فقول النبي ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) أو قال: (وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[5].

فقول: لا إله إلاَّ الله قول لسان، وإماطة الأذى عن الطريق فعل الجوارح «والحياء» وهذا عمل قلب «من الإيمان» ولا حاجة أن نقول ما يدور الآن بين الشباب وطلبة العلم: هل الأعمال من كمال الإيمان أو من صحة الإيمان، فهذا السؤال لا داعي له، أي إنسان يسألك ويقول: هل الأعمال شرط لكمال الإيمان أو شرط لصحة الإيمان؟

---

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٠٨ـ٣٠٩].
(٢) المرجع السابق: [ص: ٣٠٩].
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١١].
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: [ح: ٤٩، ٧٨].
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان: [ح: ٩]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان: [ح: ٣٥].

نقول له: الصحابة رضي الله عنهم أشرف منك وأعلم منك وأحرص منك على الخير، ولم يسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم هذا السؤال، إذاً يسعك ما وسعهم.

إذا دلَّ الدليل على أن هذا العمل يخرج به الإنسان من الإسلام، صار شرطاً لصحة الإيمان، وإذا دلَّ دليل على أنه لا يخرج صار شرطاً لكمال الإيمان وانتهى الموضوع، أمَّا أن تحاول الأخذ والرد والنزاع، ثم مَنْ خالفك قلت: هذا مرجئ. ومن وافقك رضيت عنه، وإن زاد قلت، هذا من الخوارج، وهذا غير صحيح.

فلذلك مشورتي للشباب ولطلاب العلم أن يدعوا البحث في هذا الموضوع، وأن نقول: ما جعله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم شرطاً لصحة الإيمان وبقائه فهو شرط، وما لا فلا، ونحسم الموضوع [1].

٣ـ الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجِلتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون... الحديث)[2].

قال رحمه الله في الدفاع عن الإمام النووي، وابن حجر، كلام نفيس ينبغي أن يُستشعر، وأن يتداول بين طلاب العلم.

قال: وأضرب مثلاً بحافظين معتمدين موثوقين بين المسلمين وهما: النووي وابن حجر...

قال عن النووي: ولكنه رحمه الله أخطأ في تأويل آيات الصفات حيث سلك فيها مسلك المؤولة، فهل نقول إن الرجل مبتدع؟ نقول: قوله بدعة، لكن هو غير مبتدع، لأنه في الحقيقة متأول، والمتأول إذا أخطأ مع اجتهاده فله أجر. فكيف نصفه بأنه مبتدع وننفر الناس منه، والقول غير القائل، فقد يقول الإنسان كلمة الكفر ولا

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٦٦ـ٣٦٧].
(٢) تقدّم تخريجه.



يكفر[1].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما الحافظ الثاني: فهو ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابن حجر حسب ما بلغ علمي متذبذب في الواقع، أحياناً يسلك مسلك السلف، وأحياناً يمشي على طريقة التأويل التي هي في نظرنا تحريف.

مثل هذين الرجلين هل يمكن أن نقدح فيهما؟ أبداً، لكننا لا نقبل خطأهما، خطؤهما شيء واجتهادهما شيء آخر[2].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١٤-٣١٥].

(٢) المرجع السابق: [ص: ٣١٥].



المبحث السابع

توسعه في الجوانب الفقهية

لقد توسع رحمه الله في الحديثين الأولين توسعاً ملحوظاً، لما يحتويا عليه من مسائل عقدية وفقهية مهمة.

١ـ **الحديث الأول**: حديث عمر رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيات)[1].

توسع كثيراً في مسألة «النية» وأنه يفرق بها بين العادات والعبادات.

فقال رحمه الله: والمقصود من هذه النية تمييز العادات من العبادات، وتمييز العبادات بعضها من بعض.

وتمييز العادات من العبادات مثاله:

أولاً: الرجل يأكل الطعام شهوة فقط، والرجل الآخر يأكل الطعام امتثالاً لأمر الله عزَّ وجل في قوله: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ (الأعراف: ٣١). أكل الثاني عبادة، وأكل الأول عادة.

ثانياً: الرجل يغتسل بالماء تبرداً، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة، فالأول عادة، والثاني: عبادة، ولهذا لو كان على الإنسان جنابة ثم انغمس في البحر للتبرُّد ثم صلى فلا يجزئه ذلك، لأنه لا بد من النية، وهو لم ينو التعبد وإنما نوى التبرُّد. ولهذا قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات[2]. ثم تكلَّم رحمه الله عن النية، وأن محلها القلب فلا ينطق بها. ثم قال: وهنا مسألة: إذا قال قائل: قول المُلَبِّي: لبيك اللهم عمرة، ولبيك حجَّاً، ولبيك اللهم عمرة وحجَّاً،

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٣].

أليس هذا نطقاً بالنيَّة؟

فالجواب: لا، هذا من إظهار شعيرة النُّسك، ولهذا قال بعض العلماء: إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة، فإذا لم تلبِّ لم ينعقد الإحرام، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك[1].

٢ـ الحديث الثاني: حديث عمر رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث)[2].

فقد توسع رحمه الله في عدد من النقاط، ومنها: عند قوله: «أن محمداً رسول الله».

قال رحمه الله: أي أن تشهد أنه رسول الله، أي مُرْسِله إلى الخلق، والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، وكان الناس قبل نوح على ملة واحدة لم يحتاجوا إلى رسول، ثم كثروا واختلفوا، فكانت حاجتهم إلى الرسل، فأرسل الله تعالى الرسل، قال الله عزَّ وجل: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢١٣)، فالرسل إنما بعثت حين اختلف الناس ليحكموا بينهم بالحق[3].

ثم قال رحمه الله: شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم أموراً منها[4].

ثم ذكر عدداً من النقاط التي يتحتم تحقيقها للإقرار بشهادة «أن محمداً رسول الله».

---

(١) المرجع السابق: [ص: ١٥].

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢].

(٤) المرجع السابق: [ص: ٣٣ـ٣٩].

المبحث الثامن

كثرة ضربه للأمثلة من الواقع مع تنويعها

أكثر رحمه الله من ضربه الأمثلة في أكثر المسائل التي تحتاج إلى إيضاح أكثر. وأغلب أمثلته من الواقع المعاصر الذي يعرفه الناس، ويزاولونه في حياتهم. فمن الأمثلة على ذلك:

١ـ الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث)(١). تحدَّث رحمه الله عن البدعة الحسنة وإيضاح معناها.. قال رحمه الله: ومثال آخر قول جماعة: إن الميكرفون الذي يؤدي الصوت إلى البعيد بدعة ولا يجوز العمل به؟

فنقول: هو وسيلة حسنة، لأنه يوصل إلى المقصود، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم للأذان مَنْ هو أندى صوتاً(٢)، لأنه يبلغ أكثر، وقال للعباس رضي الله عنه في غزوة حنين: (نادي يا عباس)(٣)، لأنه كان صيتاً رضي الله عنه.

إذاً رفع الصوت مطلوب، وهذه وسيلة من وسائله، ولهذا لما رُكِّبَ الميكرفون «مكبِّر الصوت «في المسجد ـ الجامع الكبير بعنيزة ـ أول ما رُكِّبَ على زمن شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله خطب في ذلك خطبة وأثنى على الذي أتى به، وهو

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: [ح: ٤٩٩]، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان: [ح: ١٨٩]، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان: [ح: ٧٠٦]، وأحمد: [٤/ ٤٣].

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: [ح: ٤٩٩]، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان: [ح: ١٨٩]، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان: [ح: ٧٠٦]، وأحمد: [٤/ ٤٣].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين: [ح: ١٧٧٥].

أحد المحسنين رحمه الله وقال: هذا من النعمة. وصدق، وهو من النعمة لأنه وسيلة إلى أمر مقصود(1).

٢ـ الحديث الثاني والثلاثون: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (لا ضرر ولا ضِرار)(2).

قال رحمه الله: «ولا ضِرار» أي ولا مضارة، والفرق بين الضرر والضِرار:

أن الضرر يحصل بدون قصد، والمضارة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة.

مثال ذلك: رجل له جار وعنده شجرة يسقيها كل يوم، وإذا بالماء يدخل على جاره ويفسد عليه، لكنه لم يعلم، فهذا نسميه ضرراً.

مثال آخر: رجلٌ بينه وبين جاره سوء تفاهم، فقال: لأفعلنَّ به ما يضره، فركب موتوراً له صوت كصوت الدركتر عند جاره وقصده الإضرار بجاره، فهذا نقول مضار(3).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١٢].
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٥٣].

المبحث التاسع

مقارنته بين أشياء متباينة لتقريب الحكم للسامع

١ـ الحديث الأول: حديث عمر رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيات.. الحديث)(١).

قال رحمه الله بعد ذكره عنوان ـ من فوائد الحديث:

هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، ولهذا قال العلماء: مدار الإسلام على حديثين: هما هذا الحديث، وحديث عائشة: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»(٢) فهذا الحديث عمدة أعمال القلوب، فهو ميزان الأعمال الباطنة، وحديث عائشة: عمدة أعمال الجوارح، ومثاله:

رجل مخلص غاية الإخلاص، يريد ثواب الله عزَّ وجل ودار كرامته، لكنه وقع في بدع كثيرة. فالبنظر إلى نيَّته: نجد أنها نيَّة حسنة. وبالنظر إلى عمله: نجد أنه عمل سيء مردود، لعدم موافقة الشريعة.

ومثال آخر: رجل قام يصلِّي على أتم وجه، لكن يرائي والده خشية منه، فهذا فقد الإخلاص، فلا يُثاب على ذلك إلاَّ إذا كان أراد أن يصلِّي خوفاً أن يضربه على ترك الصلاة فيكون متعبداً لله تعالى بالصلاة(٣).

٢ـ حديث عمر أيضاً: قال رحمه الله: مسألة: أيهما أفضل: العلم أم الجهاد في سبيل الله؟ **والجواب**: العلم من حيث هو علم أفضل من الجهاد في سبيل الله لأن الناس كلهم محتاجون إلى العلم، وقد قال الإمام أحمد: «العلم لا يعدله شيء لمن صحت

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقص الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور: [ح: ١٧١٨ (١٧)].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٨ – ١٩].

نيته»، ولا يمكن أبداً أن يكون الجهاد فرض عين لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، فلو كان فرض عين لوجب على جميع المسلمين، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾، أي وقعدت طائفة، ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

ولكن باختلاف الفاعل واختلاف الزمن، قد نقول لشخص: الأفضل في حقِّك الجهاد، ولآخر الأفضل في حقك العلم، فإذا كان شجاعاً قوياً نشيطاً وليس بذاك الذكي فلأفضل له الجهاد، لأنه أَلْيَق به، وإذا كان ذكياً حافظاً قوي الحجة فالأفضل له العلم، وهذا باعتبار الفاعل.

أمَّا باعتبار الزمن فإننا إذا كنَّا في زمن كثر فيه العلماء واحتاجت الثغور إلى مرابطين فالأفضل الجهاد، وإن كنَّا في زمن تفشَّى فيه الجهل وبدأت البدع تظهر في المجتمع وتنتشر فالعلم أفضل، وهناك ثلاثة أمور تحتّم على طالب العلم:

١ـ بدع بدأت تظهر شرورها.

٢ـ الإفتاء بغير علم.

٣ـ جدل كثير في مسائل بغير علم.

وإذا لم يكن مرجّح فالأفضل العلم[1].

---

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢١ ـ ٢٢].

المبحث العاشر

تنبيهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الأخطاء

ينبّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما يقع من بعض الناس من أخطاء عقدية أو فقهية أو نحوها. ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ الحديث الثاني: حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ... الحديث)[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الكلام على صفات الله سبحانه، محذِّراً من تجاوز النصوص فيها:

وجاء آخرون فقالوا: قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأمسك المسواك بين أصابعه وقال: بين أصبعين من أصابع الرحمن. [قطع الله هاتين الأصبعين]. فهل يحلّ هذا؟

الجواب: لا يحل، **أولاً:** هل تعلم أن أصابع الله تعالى خمسة: إبهام وسبابة ووسطى وبنصر وخنصر؟ لا تعلم.

ثانياً: هل تعلم أن كون القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، بين الإبهام والسبابة، أو بين الإبهام والوسطى، أو بين الإبهام والبنصر، أو بين الإبهام والخنصر؟ كيف تقول على الله ما لا تعلم أم على الله يفترون، فمثل هذا يستحق أن يؤدَّب، لأنه قال على الله ما لا يعلم.

فقالوا: أليس النبي ﷺ لما قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (النساء: ١٣٤).

(١) تقدَّم تخريجه.



وضع إبهامه وسبابته على العين والأذن[1].

نقول: بلى، لكن أنت لست رسولاً حتى تفعل هذا، ثم المقصود من وضع الرسول ﷺ أصبعيه تحقيق السمع والبصر فقط.

وأكرر أن باب الصفات باب عظيم، أحذر أن تَزِلَّ، فتحت رجلك هوَّة، والأمر صعب جداً.

يقول آخرون في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (الزمر: ٦٧)، فيشير بيده قابضاً لها على شيء ـ أعوذ بالله ـ والآخرون يقولون: قبضته أي تحت تصرفه، والفرق بينهما عظيم.

فعلى كل حال، أكرر: احذروا في باب الصفات أن تخوضوا في شيء لم يتكلم فيه السلف الصالح.

يقول بعض العلماء: (من لم يسعه ما وسع الصحابة والتابعين فلا وسَّع الله عليه)[1].

٢ـ وفي الحديث الثاني أيضاً:

قال رحمه الله:... وبهذه المناسبة أود أن أنبِّه على كلمة دارجة عند العوام، حيث يقولون «يا مَنْ أمره بين الكاف والنون»، وهذا غلط عظيم. والصواب: «يا مَنْ أمره بعد الكاف والنون»، لأن ما بين الكاف والنون ليس أمراً، فالأمر لا يتم إلاَّ إذا جاءت الكاف والنون لأن الكاف المضمومة ليست أمراً والنون كذلك، لكن باجتماعهما تكون أمراً.

فالصواب أن تقول: «يا مَنْ أمره ـ أي مأموره ـ بعد الكاف والنون» كما قال

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب الجهمية: [ح: ٤٧٢٨].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٨ ـ ٤٩].

تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢ - ٨٣).

المهم أنه يجب علينا أن نؤمن باليوم الآخر وإن كانت العقول الضعيفة تستبعده، لأن الله تعال إذا أمر حصل هذا فوراً، كما قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ (يس: ٥٣)، فبصيحة واحدة تأتي الخلائق كلها[1].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧٦ - ٧٧].

المبحث الحادي عشر

ذكره لبعض القصص المهمة

يذكر رحمه الله في عرضه لبعض القضايا أو المسائل قصصاً واقعية في الحاضر أو الماضي تقرِّب المسألة لمفهوم السامع. **ومن الأمثلة على ذلك:**

١ـ ذكر قصة تتعلق بالرؤى في عهد الصحابة، ثم أعقبها بقصة أخرى من الواقع المعاصر عند الحديث الثاني: حديث عمر رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ... الحديث)[1]... فذكر قصة ثابت بن قيس رضي الله عنه.

فقال رحمه الله: (وقع في قصته رضي الله عنه أيضاً مسألة غريبة: مرَّ به أحد الجنود وهو ميت وعلى ثابت رضي الله عنه درع جيد، فأخذ الجندي الدرع منه ثم ذهب به إلى رحله وجعل عليه برمة ـ البرمة قدر من الخزف ـ وفي الليل رأى أحد أصحاب ثابت ثابتاً رضي الله عنه في المنام وأخبره الخبر وقال له: مرَّ بي رجل من الجند وأخذ درعي ووضعه تحت برمة في طرف العسكر وحوله فرس تستن، أي رافعة إحدى قوائمها. فلما أصبح الرجل الذي رأى هذه الرؤيا أخبر بها القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه، فأرسله إلى المكان، ولما أرسله إلى المكان وجد الأمر كما قال ثابت ـ فسبحان الله العظيم ـ ما الذي أعلم ثابتاً وهو ميت، لكن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فأخذ الدرع).

كما أن ثابتاً رضي الله عنه أوصى بوصية بعد موته، وأُبْلِغَت أبا بكر رضي الله عنه فنفَّذ الوصية[2]، قالوا: ولا يوجد أحد نُفِّذتْ وصيته التي أوصى بها بعد موته إلاَّ ثابت بن قيس

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: [ح: ١٣٠٧]، والحاكم في المستدرك: [٣/ ٢٣٥].



رضي الله عنه، لكن يشكل على هذا كيف نعتبر الرؤيا في تنفيذ الوصية؟

والجواب: أنه إذا دلَّت القرائن على صدق الرؤيا نفِّذتْ الوصية ولا حرج. ولقد حدَّثني رجل أثق به يقول: إنه مات أبوه وكان قد استأجر البيت الذي تركه بعد موته لمدة كذا سنة، فلما مات أتى أهل البيت الذين يملكون رقبة البيت وقالوا للورثة: اخرجوا عن البيت، البيت بيتنا، فقالوا: لن نخرج، بين مورِّثنا وبينكم عقد لم ينتهِ بعد، فقالوا: بل انتهى العقد، ففزع الورثة من هذه الدعوى وضاقت بهم الأرض، يقول: فلما كان ذات ليلة رأيتُ في المنام أن أبي أطلَّ علينا من فرجة المجلس، وقال لهم: العقد في أول صفحة من الدفتر لكنه لاصق في جلدة الدفتر، فلما أصبح وفتح أول صفحة وجد العقد.

سبحان الله، فالله تعالى قد يخبر بعض الموتى ببعض ما يحصل على أهله، لكن هذه مسائل ليست لكل أحد[1].

٢ـ ذكر قصة تدل على احترام السلف بعضهم لبعض حتى ولو كانوا أقل منهم، وعلى النصيحة حتى ولو كانت مع الأئمة، عند الحديث الثاني أيضاً:

فقال رحمه الله: وذُكِر أن رجلاً دخل على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقيه المحدِّثين ومحدِّث الفقهاء وإمام أهل السنة، ودخل عليه وهو يئن من الوجع، فقال له: يا أبا عبدالله تئن وقد قال طاووس: إن الملك يكتب حتى أنين المريض، فأمسك الإمام أحمد رحمه الله عن الأنين. وهذا من تعظيم آثار السلف عند السلف[2].

٣ـ وذكر قصة تدل على جواز التورية من الواقع المعاصر، في الحديث الخامس والثلاثين: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا ولا

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٧ـ ٣٩].
(٢) المرجع السابق: [ص: ٥١].

تناجشوا... الحديث)[1].

قال رحمه الله عند ذكره الفوائد، وذكر التورية وحكمها: وجرتْ لشيخنا عبدالرحمن ابن سعدي رحمه الله قصة حول هذا الموضوع، جاءه رجل في آخر شهر ذي الحجة، أي باقي أيام على انقضاء السنة، وقال له: يا شيخ نريد وعداً، فقال: هذه السنة لا يمكن أن أواعدك فيها، فظن المتكلم أنها إثنا عشر شهراً، فغضِبَ، ولما رآه الشيخ غضب قال له: لم يبقَ في السنة إلاَّ عشرة أيام أو نحوها، فاقتنع الرجل، فمثل هذا لا بأس به أحياناً إذا أخبر صاحبه[2].

٤ـ ذكره لقصة من الواقع المعاصر تدل على الأجل، وأنه محدود ولا يتقدَّم ولا يتأخر، في الحديث الرابع: حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه... الحديث)[3].

قال رحمه الله: وهذا الأجل لا يتقدَّم لحظة ولا يتأخر، فإذا تمَّ الأجل انتهت الحياة، وأذكر لكم قصة وقعت في عنيزة: مرَّ دبَّاب أي درَّاجة نارية بتقاطع، وإذا بسيارة تريد أن تقطع، فوقف صاحب الدبَّاب ينتظر عبور السيارة، والسيارة وقفت تنتظر عبور الدبَّاب، ثم انطلقا جميعاً فصُدِم الدبَّاب ومات الراكب الرديف الذي وراء السائق. فتأمل الآن وقف هذه الدقيقة من أجل استكمال الأجل «سبحان الله». قال الله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١). وقال صلى الله عليه وسلم: (لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها)[4] [5].

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله: [ح: ٢٥٦٤ (٣٢)].
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٨٢].
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب: [ح: ٢١٤٤].
(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٢].



المبحث الثاني عشر

كلامه عن بعض قضايا طبية، أو تاريخية

١ـ مثال على قضية طبية: في الحديث الرابع، حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة... الحديث)[1].

قال رحمه الله عند كلامه عن النطفة: وقد يقول قائل: هذه النطفة هل يجوز إلقاؤها أو لا يجوز؟

والجواب: ذكر الفقهاء رحمهم الله أنه يجوز إلقاؤها بدواء مباح، قالوا: لأنه لم يتكون إنساناً، ولم يوجد فيه أصل الإنسان وهو الدم.

وقال آخرون: لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (المرسلات: ٢١ـ ٢٢)، فلا يجوز أن نتجاسر على هذا القرار المكين ونخرج الجنين منه، وهذا أقرب إلى الصواب أي أنه حرام، لكنه ليس كتحريم ما بعد بلوغه أربعة أشهر.

فإذا قُدِّر أن المرأة مرضت وخيف عليها، فهل يجوز إلقاء هذه النطفة؟

الجواب: نعم يجوز، لأن إلقاءها الآن صار ضرورياً[2].

ثم أطال الكلام حول العلقة، والمضغة وأحكامهما.

٢ـ مثال على قضية تاريخية: الحديث الثاني، حديث عمر رضي الله عنهما: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ... الحديث)[3].

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٦].
(٣) تقدَّم تخريجه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامه عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن أولهم نوح عليه السلام:

ولهذا كان أول الرسل نوحاً عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ.فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله، ولا بد أن نؤمن بأنه خاتم النبيين ﷺ[1].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما سبق يُعْلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن هناك رسولاً أو أكثر قبل نوح، فليس قبل نوح عليه السلام رسول بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ (النساء: ١٦٣)، وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ (الحديد: ٢٦)، أي في ذريتهم خاصة.

ومن السنة ما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: (أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض)[2]، فعقيدتنا أن أول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ فمن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ فحكمه أنه كافر، لقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، ولم يقل سبحانه «وخاتم الرسل»، مع أنه قال «رسول الله» بالأول، إذا كان خاتم النبيين فهو خاتم الرسل، إذ لا رسالة إلاَّ بعد النبوة، فإذا انتفت النبوة من بعده فالرسالة من باب أولى[3].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢].
(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى:) ولقد أرسلنا نوحاً (الأرواح جنود مجندة: [ح: ٣١٦٢]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: [ح: ١٩٤].
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٣].



المبحث الثالث عشر

تردده في بعض المسائل الفقهية، أو رجوعه عن قوله إلى قول غيره

١ـ مثال تردده في المسألة: الحديث الثامن، حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله... الحديث)[1].

وذكر مسألة تتعلق بالقيام بالصلاة:

قال رحمه الله: وهنا سؤال: لو كان يستطيع أن يصلي قائماً لكنه لا يستطيع أن يكمل القيام إلى الركوع، بمعنى أن يبقى قائماً دقيقة أو دقيقتين ثم يتعب ويجلس، فهل نقول: اجلس. وإذا قارب الركوع قم، أو نقول: ابدأ الصلاة قائماً وإذا تعبت اجلس؟

الجواب: هذا فيه تردد عندي، لأن النبي ﷺ حين أخذه اللحم كان يصلي في الليل جالساً فإذا بقي عليه آيات قام وقرأ ثم ركع[2]. وهذا يدل على أنك تقدِّم القعود أولاً ثم إذا قاربت الركوع فقم.

لكن يردّ على هذا أن النفل يجوز أن يصلي الإنسان فيه قاعداً، فإذا قارب الركوع قام.

والفريضة الأصل فيها أن يصلِّي قائماً، فنقول: ابدأها قائماً ثم إذا تعبت فاجلس، لأنك ربما تعتقد أنك لا تستطيع القيام كله، ثم تقدر عليه، فنقول: ابدأ الآن بما تقدر عليه وهو القيام، ثم إن عجزت فاجلس، وهذا أقرب.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة: [ح: ٢٥]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، ويقيموا الصلاة: [ح: ٣٦ (٢٢)].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة، باب إذا صلى قاعداً: [ح: ١٠٦٨]، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً: [ح: ٧٣١].

لكني أرى عمل الناس الآن في المساجد بالنسبة للشيوخ والمرضى، يصلي جالساً فإذا قارب الركوع قام، ولا أنكر عليهم لأني ليس عندي جزم أو نص بأنه يبدأ أولاً بالقيام ثم إذا تعب جلس، لكن مقتضى القواعد أنه يبدأ قائماً فإذا تعب جلس[1].

٢ـ مثال رجوعه عن قوله إلى قول غيره:

الحديث الثالث والعشرون، حديث أبي مالك الأشعري ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: (الطهور شطر الإيمان.... الحديث)[2].

قال ﵀ عند قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴾ (الواقعة: ٧٨).

وكونه في كتاب مكنون هل معناه أن القرآن كله كتب في اللوح المحفوظ، أو أن المكتوب في اللوح المحفوظ ذكر القرآن وأنه سينزل وسيكون كذا وكذا؟

الجواب: الأول، لكن يبقى النظر كيف يكتب قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وفيه العبارات الدالة على الماضي مثل قوله: ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ ﴾ (آل عمران: ١٢١)، ومثل قوله: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ (المجادلة: ١)، وهو حين كتابته قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لم يسمع قولها، لأن المجادِلة لم تخلق أصلاً حتى تُسمع مجادلتها؟

فالجواب: أن الله قد علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، كما أنه علم المقادير وكتبها في اللوح المحفوظ، وعند تقديرها يتكلم الله عزَّ وجل بقوله كن فيكون، هكذا قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ وهو مما تطمئن له النفس.

وكنتُ من قبل أقول: إن الذي في اللوح المحفوظ ذكر القرآن لا القرآن، بناءً على أنه يرِدُ بلفظ الماضي قبل الوقوع، وأن هذا كقوله تعالى عن القرآن: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي

(١) شرح الأربعين النووية.

(٢) تقدَّم تخريجه في صفحة: ٢٥.



﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٦)، والذي في زبر الأولين ليس القرآن، بل ذِكْر القرآن والتنويه عنه، ولكن بعد أن اطلعتُ على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جزاه الله خيراً ـ انشرح صدري إلى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ ولا مانع من ذلك، ولكن الله تعالى عند إنزاله إلى محمد ﷺ يتكلم به ويلقيه إلى جبريل. وهذا قول أهل السلف وأهل السنة في القرآن[1].

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٤٩ ـ ٢٥٠].



المبحث الرابع عشر

اعتماده في شرحه للأحاديث على فهمه واستنباطه

يعتمد رحمه الله في شروحه للأحاديث على فهمه واستنباطه فقلَّ أن ينقل قولاً لأحد، وهذا هو الغالب عنده رحمه الله، وأحياناً يذكر القول وينسبه لعامة العلماء، فيقول: قال العلماء، أو يقول العلماء، وهو الغالب من نقوله رحمه الله مستشهداً لقوله أو ذاكراً من يعارضه من قول آخر. فمن أمثلة ذلك:

١ـ الحديث التاسع والعشرون: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قلتُ يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: (لقد سألت عن عظيم... الحديث)[١].

قال رحمه الله: (أجاب العلماء، رحمهم الله، فقهاء الإسلام، أطباء القلوب والأبدان، ممن علمهم الله ذلك ـ فقالوا: الباء لها معنيان: تارة تكون للسببية، وتارة تكون للعِوَض)[٢].

٢ـ الحديث السابق أيضاً:

قال رحمه الله: وقال بعض أهل العلم: في حال فعل الطاعة يغلب جانب الرجاء، وفي حال الهمّ بالمعصية يغلب جانب الخوف، وهذا حسن[٣].

وأحياناً ينسب القول إلى قائله، ويحدد موقعه، وأكثر ما نقله عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله. فمن أمثلة ذلك:

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: [ح: ٢٦١٦]، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان: [ح: ٣٩٧٣]، وأحمد: [٥/ ٢٣١].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢٤].

(٣) المرجع السابق: [ص: ٣٣٠].

١- الحديث الثاني: حديث عمر رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث)[1].

نقل رحمه الله كلام شيخ الإسلام؟، فقال عند الحديث عن اليوم الآخر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، مثل الفتنة في القبر. فإن الناس يفتنون في قبورهم ويسألون عن ثلاثة أشياء: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟[2].

٢- الحديث الثاني أيضاً:

فقد نقل رحمه الله كلام ابن القيم رحمه الله، في مسألة نفقة الحج عن الميت، فقال: وهنا مسألة: هل يجب على ورثته أن يخرجوا الحج عنه من تركته؟

والجواب: لا، لأنه لا ينفعه ولم يتعلق به حق الغير كالزكاة، قال ابن القيم في تهذيب السنن: «هذا هو الذي ندين الله به» أو كلمة نحوها، وهو الذي تدل عليه الأدلة[3].

- وأحياناً ينقل كلاماً لهما، ويشير إلى اختلافهما في القضية. مثاله:

الحديث الثاني أيضاً:

قال رحمه الله عند الكلام عن القدر: أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بجواب، وأجاب تلميذه ابن القيم رحمه الله بجواب آخر.

شيخ الإسلام قال: إن آدم عليه الصلاة والسلام فعل الذنب، وصار ذنبه سبباً

(١) تقدَّم تخريجه.
(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٦٠].
(٣) المرجع السابق: [ص: ٧٢].

لخروجه من الجنة، لكنه تاب من الذنب، وبعد توبته اجتباه الله وتاب عليه وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن المحال أن موسى عليه الصلاة والسلام ـ وهو أحد أولي العزم من الرسل ـ يلوم أباه على شيء تاب منه ثم اجتباه الله بعده وتاب عليه وهداه، وإنما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله، وهي إخراج الناس ونفسه من الجنة، فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم، على أن آدم عليه السلام لا شك أنه لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام، فكيف يلومه موسى؟

وهذا وجه ظاهر في أن موسى عليه السلام لم يرد لوم آدم على فعل المعصية، إنما على المعصية التي هي من قدر الله، وحينئذٍ يتبين أنه لا حجة في الحديث لمن يستدل على فعل المعاصي، إذ أنه احتج على المعصية وهي الإخراج من الجنة، ولهذا قال: أخرجتنا ونفسك من الجنة ولم يقل: عصيت ربك، فهنا كلام موسى مع أبيه آدم على المعصية التي حصلت، وهي الإخراج من الجنة، وإن كان السبب هو فعل آدم. وقال رحمه الله: اللوم على المصائب وعلى المعائب إن استمر الإنسان فيها.

أمَّا تلميذه ابن القيم رحمه الله فأجاب بجواب آخر. قال: إن اللوم على فعل المعصية بعد التوبة منها غلط، وإن احتجاج الإنسان بالقدر بعد التوبة من المعصية صحيح. فلو أنَّ إنساناً شرب الخمر، فجعلت تلومه وهو قد تاب توبة صحيحة، وقال هذا أمر مقدَّر عليَّ وإلاَّ لست من أهل شرب الخمر، وتجد عنده من الحزن والندم على المعصية شيئاً عظيماً، فهذا يقول ابن القيم: لا بأس به.

وأمَّا الاحتجاج بالقدر الممنوع فهو: أن يحتج بالقدر ليستمر على معصيته، كما فعل المشركون، أمَّا إنسان يحتج بالقدر لدفع اللوم عنه مع أن اللوم قد اندفع بتوبته فهذا لا بأس به.

وهذا الجواب جواب واضح يتصوره الإنسان بقرب، وإن كان كلام شيخ الإسلام رحمه الله أسد وأصوب، لكن لا مانع بأن يُجاب بما أجاب به العلاَّمة ابن القيم.

وقال ابن القيم: نظير هذا أن النبي ﷺ حين طرق ابنته فاطمة وابن عمه عليًّا رضي الله عنهما ليلاً فوجدهما نائمين، فقال: (ألا تُصلِّيان؟) فكأنه عاب عليهما، أي لماذا لم تقوما لصلاة التهجد. فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله عزَّ وجل فإذا شاء أن يبعثنا، بَعَثَنا، فخرج النبي ﷺ وهو يضرب على فخذه ويقول:[1] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف: ٥٤)، لأن علياً رضي الله عنه دافع عن نفسه بأمر انتهى وانقضى[2].

ـ وأحياناً ينقل كلاماً لشيخه عبدالرحمن السعدي رحمه الله، مثاله:

الحديث التاسع والثلاثون: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ... الحديث)[3].

قال رحمه الله: وكان شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله يقول في المسائل الخلافية: إذا كان الإنسان قد فعل وانتهى فلا تعامله بالأشد، بل انظر للأخف وعامله به، لأنه انتهى ولكن انهَهُ أن يفعل ذلك مرة أخرى. والله الموفق[4].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل: [ح: ١٠٧٥]، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح: [٢٠٦ (٧٧٥)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٨٤ـ٨٥].

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي: [ح: ٢٠٤٥]، والبيهقي: [٧/ ٣٥٦ـ ٣٥٧]، والدارقطني: [٤/ ١٧٠]، وابن حبان في صحيحه: [١٦/ ٢٠٢، ح: ٧٢١٩].

(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢١].

الخاتمــة وأهــم النتائــج

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

فبعد هذه الرحلة والتفتيش والإمعان للتعرف على طريقة شيخنا سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لشروحه للأحاديث من خلال شرحه لكتاب «الأربعون النووية»، أستخلص ما يلي:

١ـ الذي يظهر من خلال تصفُّح الكتاب، واستعراض مسائله والإجابة عما يرد من أسئلة افتراضية في ذلك، أنه لم يُرد التأليف لذاته، وإنما كان ذلك شرحاً عابراً عبر دورة علمية أقامها في المسجد رحمه الله وقد أوكل التصحيح والتخريج لبعض طلابه للعناية بها.

٢ـ حثَّ رحمه الله في مقدمته على العناية بكتاب «الأربعون النووية». وقال: ينبغي لطالب العلم أن يحفظها؛ لأنها منتخبة من أحاديث عديدة، وفي أبواب متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات.

٣ـ دافع رحمه الله عن الإمام النووي في عقيدته، رغم انتقاده له في قوله ببعض الصفات بقول الأشاعرة، ثم أثنى عليه وامتدحه.

٤ـ سلك رحمه الله مسلك السؤال والجواب في القضايا التي يريد طرحها والإجابة عليها لتقريب القضية للسامع.

٥ـ ركَّز رحمه الله على القضايا العقدية، لمعرفته بأهميتها، وتوسع في ضرب الأمثلة من الواقع لتقريب المفهوم للسامع.

٦ـ تكلَّم رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض المسائل الحديثية، وأجاب عنها وأكثره بإيجاز، وإشارته إلى أن المقام لا يسمح بالتوسع.

٧ـ اهتم رَحِمَهُ اللَّهُ بالمسائل اللغوية، والبلاغية إذا احتاج الأمر إلى إيضاحها.

٨ـ ربطه الشرح بالواقع المعاصر في أكثر إجاباته وضرْبه للأمثلة في ذلك.

٩ـ يعتمد رَحِمَهُ اللَّهُ في أكثر الأحيان في شرحه على مفهومه للحديث. فقلَّ أن ينقل قولاً لأحد من العلماء، على أنه أكثر ما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم من بعده تلميذه ابن القيم.

١٠ـ تراجع عن قوله إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية؟ في مسألة: قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (الواقعة: ٧٨).

هذا ما توفر لديَّ من نتائج، أسأله تعالى أن يصلح النية، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه، وأن يغفر لشيخنا ووالديه، الذي ملأ الدنيا بحثاً وتنقيباً وشرحاً وتأصيلاً، ثم وُفِّقَ بتلاميذ ومحبين له بنشر كتبه، وإظهار ثروته العلمية. جعلها الله له نوراً في قبره، وعلواً في درجته يوم يلقاه، وأن يجمعنا به وبوالدينا وذرياتنا وأزواجنا وأصحابنا وجميع المسلمين في جنات النعيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.